مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

# زمانهم غير زماننا..

بقلم: ساما عويضة

# زمانهم غير زماننا..

**تأليف**: ساما عويضة

**رسومات**: خالد جرادة

**تصميم**: عماد ابوبكر

الطبعة الثالثة 2021

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية
آب 2014

كان يا ما كان، وفي قرية قريبة من قريتنا، كانت هناك أسرة سعيدة مكونة من أم وأب وأطفالهما الخمسة (علاء، وسماح، وإيناس وعلي، وصفاء). وكانت تلك الأسرة تمتلك قطعة أرض يزرعونها قمحًا. ويتشارك كلّ من الأب والأم في الاعتناء بالقمح بشكل دائم، ويتعاونان في اقتلاع الأعشاب الضارة من الأرض، وينتظران هما وأطفالهما هطول المطر بفارغ الصبر، وبمجرد هطول المطر تحتفل العائلة ويمتلئ البيت بالأفراح.

وما إن يحين موعد الحصاد حتى يخرج كل أفراد العائلة للعمل في الأرض معلنين بدء موسم الحصاد. فيتشاركون في العمل وهم فرحون وفرحات؛ لأن الحصاد بالنسبة لهم يعني توفّر المال لشراء كل احتياجات الأسرة.

وفي أيام الحصاد كانت الأم تصحو من النوم مبكرًا لكي تخبز الخبز وتحضِّر الطعام لأخذه معهم إلى الأرض. حيث إن العمل في الأرض في وقت الحصاد يتطلب عملًا لساعات طويلة، بينما يهتم الأب بتحضير الأدوات التي سيستخدمونها في الحصاد.

وما إن يصلوا إلى الأرض حتى يحمل كلّ من الأب والأم المناجل حيث تبدأ عملية الحصاد، بينما يسير من خلفهما «علاء» (١٦ عامًا) و«سماح» (١٤ عامًا) ليجمعا القمح ويضعانه في أكوام كالخيام.

أما «إيناس» (١٢ عامًا) فقد كانت تحرص على توفير كل احتياجات والديها وشقيقها وشقيقتها، فتسير خلفهم لتزودهم بالماء والطعام وكل ما يحتاجونه دون أن تنسى تحضير الشاي وتوفيره لهم كلما شعروا بأنهم بحاجة للطاقة.

أما «علي» وكان عمره ١٠ أعوام، فقد كانت مهمته رعاية أخته الصغيرة «صفاء». يلعب معها طوال النهار، ويتأكد من سلامتها طوال الوقت ويذهب معها إلى أرض عمهم القريبة للعب مع أولاد عمهم، أو إلى بيت خالتهم للتسلية واللعب أيضًا، وعندما يحين وقت الطعام كان يجتمع الجميع ثم يرجعون للعمل مرة أخرى.



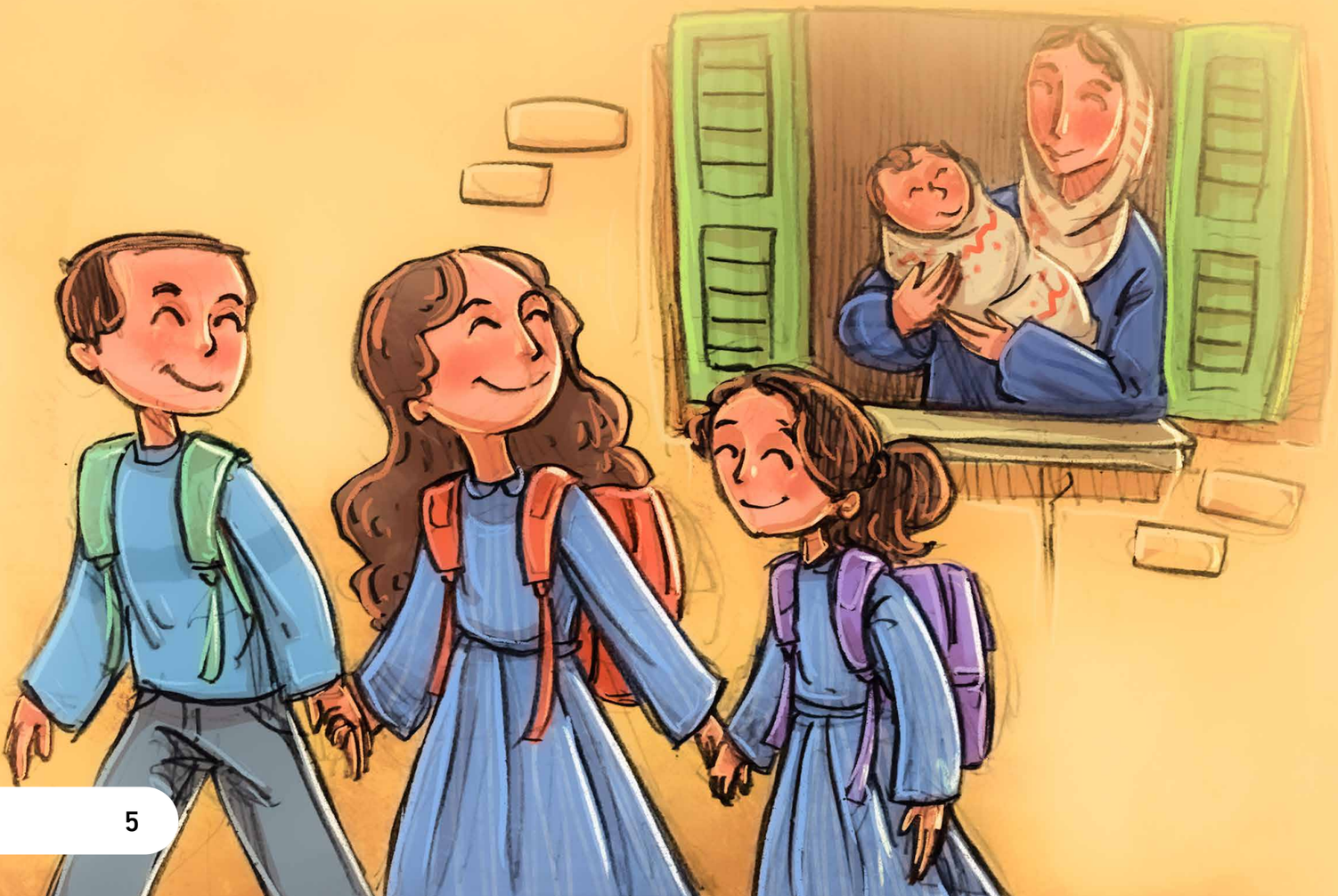

وبعد أن تنتهي أيام الحصاد، ويبيعوا المحصول تعم الفرحة كل أفراد العائلة. ويبدأ كل فرد من أفراد الأسرة بتحديد احتياجاته من كتب وقرطاسية وملابس وألعاب...الخ. وبالطبع كانت الوالدة والوالد يأخذان هذه الطلبات بعين الاعتبار ولكنهما هما من يقرر تحديد المشتريات بناء على ما هو متوفر من جهة وما يتطلبه مصروف الأسرة اليومي من جهة ثانية. ولكن وبالمحصلة كانت الفرحة تعم الجميع، ولا سيما أن الأب والأم كانا يقومان أيضًا بزراعة بعض الخضار في حديقة البيت لتوفير بعض المصروفات خلال العام وتوفير احتياجات الأسرة من الخضار أيضاً. دون أن ننسى الدجاجات التي كانت تعتني بها الأم للحصول على البيض واللحم أيضاً.

وفي يوم من الأيام، رجع الأب إلى بيته والفرح بادٍ على وجهه، وقال لزوجته: «زغردي يا عزيزتي»، اليوم تقدّم لنا عريس لسماح، وعندما سأله الأطفال عن العريس.

قال: «ابن عمها عمران، الأستاذ مازن".

زغردت الأم وذهبت لسماح تعانقها وتقبلها. بينما عانق كل الأخوة والأخوات سماح مباركين لها. وهي كانت فرحة جدًا. وبدأت تحلم بالفستان الأبيض والذهب وحفلة العرس.



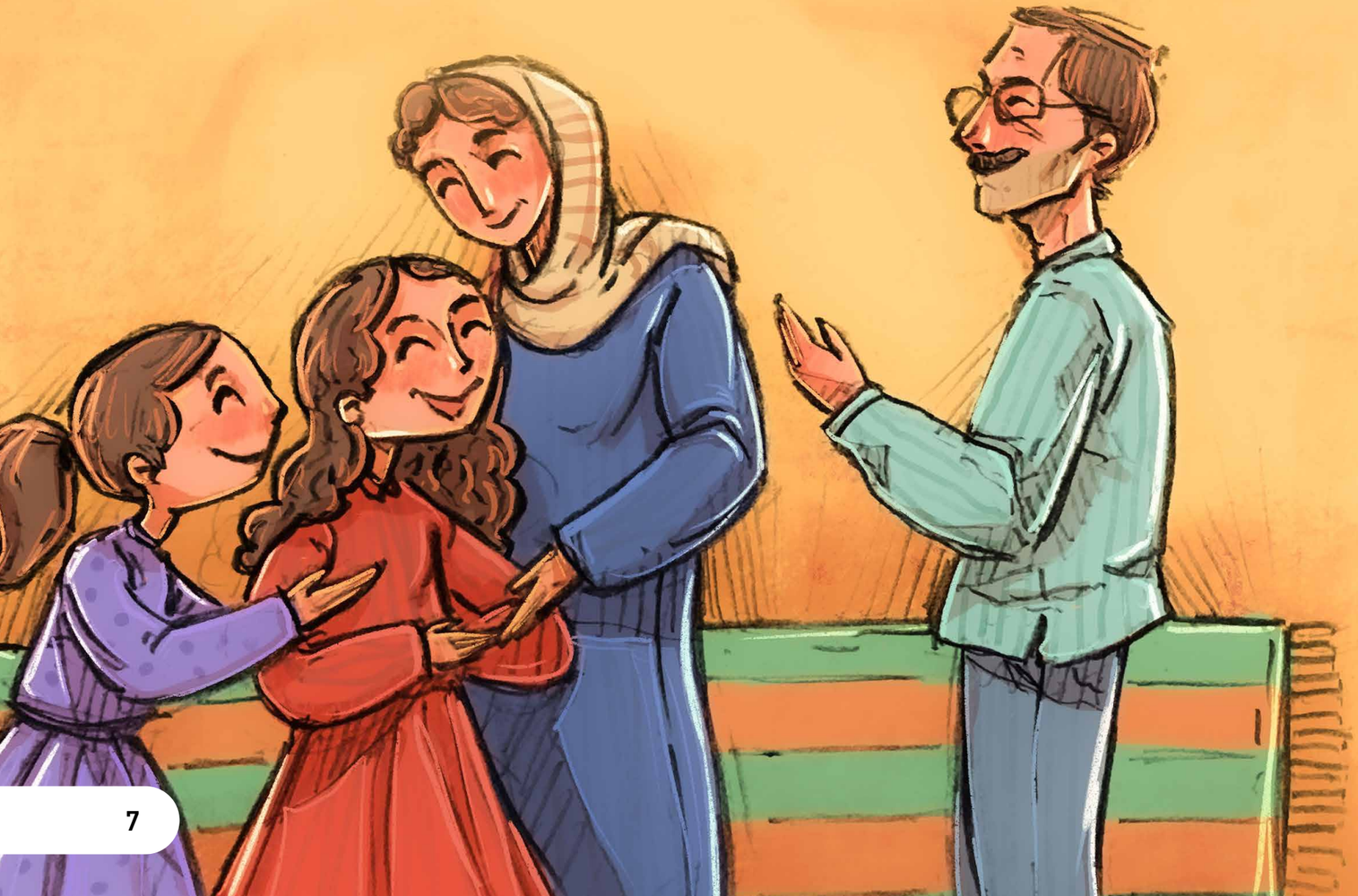

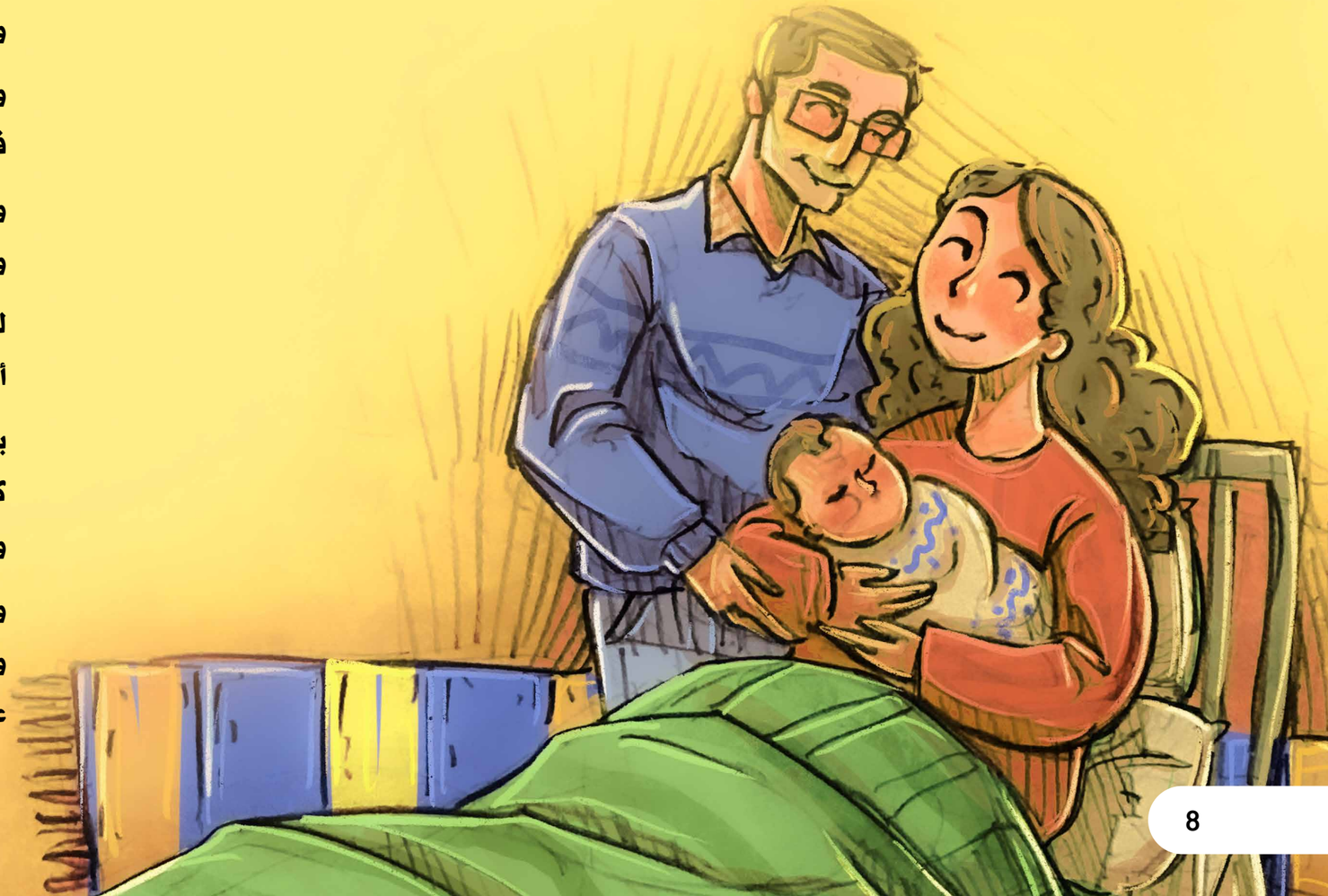



مضى شهران وكل أفراد العائلة مشغولون بالتحضير ليوم الزفاف، بينما كانت سماح فرحة وتنتظر ذلك اليوم على أحر من الجمر.

وفي يوم الزفاف، وصل أهالي القرية، وذُبِح بعض الخراف، وتشارك الجميع بالغناء والرقص... فكان يومًا رائعًا تحدّث عنه كل أهالي القرية.

وبعد أقل من سنة، فرح الأهل جميعًا بولادة الطفل الأول لسماح وأطلقوا عليه اسم «عمران» وهو اسم جده. وتجددت الأفراح ووصل المهنئون والمهنئات وتراكمت الهدايا.

لكن وبعد شهرين من ولادة عمران، دخل جنود الاحتلال القرية، وبدأوا بإطلاق النار بحجة أن أولاد المدرسة رموهم بالحجارة، فاستشهد الأستاذ مازن والد الطفل عمران.

بعد استشهاد زوجها، دخلت «سماح» في حالة حزن شديد وتبدلّت حياتها، حيث لم تستطع كطفلة تفهّم ما حصل، وشعرت بأنها غير قادرة على تربية طفلها وحدها رغم وجود الأهل والأحبة. فدخلت في حالة حزن شديد لدرجة أنها لم تعد تهتم بطفلها بتاتًا.

وبدأت الحيرة والحزن يعمّان كل أفراد الأسرة. وكل منهم حاول أن يساعد سماح بطريقته، وأن يهتم بالطفل عمران، ولكن للأسف فقد فارقت البسمة وجه سماح ولم تعد قادرة حتى على تناول الطعام، وتراجع وضعها الصحي يومًا بعد يوم.

وفي يوم من الأيام، عادت «إيناس» من المدرسة والفرح يملأ وجهها، واتجهت فوراً باتجاه والدها ووالدتها وقالت لهما:

طوال اليوم وأنا أفكّر بأختي الغالية سماح إلى أن وجدت الحل.

الوالدة: وما هو الحل برأيك؟ بسرعة أخبرينا.

إيناس: سماح يجب أن تعود إلى المدرسة وتعيش مع صديقاتها، وتتعلم من جديد حتى تشعر بأنها ستكون قادرة على الاعتماد على نفسها. أختي سماح لم تعش طفولتها ولم تُنهِ تعليمها. فلماذا لا تبدأ من جديد؟!

الأم: وهل هذا هو الحل برأيك؟! أن تترك ابنها وتعود إلى المدرسة؟!

وعندما حاولت إيناس توضيح فكرتها صاحت أمها مرة أخرى، بينما طالبها والدها بالسكوت.

ذهبت إيناس حزينة باتجاه شقيقها «علاء» وأخبرته عمّا دار بينها وبين والديها.

سمعها علاء بهدوء، ومن ثم قال:

«أتفق معك يا أختي تماماً. صحيح أنك ما زلت طفلة ولكنك تفكرين بطريقة صحيحة. سماح يجب أن تعود إلى المدرسة».

توجه علاء إلى غرفة الجلوس، حيث كان والداه، وقال لهما: ما قالته إيناس صحيح. سماح يجب أن تعود إلى المدرسة وأن تتعلم وتلعب مع صديقاتها وتبدأ حياتها من جديد. ونحن كلنا مسؤولون عن طفلها الذي أنجبته قبل أن تكون جاهزة لذلك، وفقدت والده لتصبح وحدها المسؤولة عنه. سماح ما زالت طفلة ويجب أن تعيش مرحلة الطفولة كغيرها من الطفلات.

اقتنع الوالدان بما قاله علاء. وعادت سماح إلى المدرسة بينما بقي طفلها بحضن والدتها ووالدها.

وعندما كانت تعود من المدرسة كانت تحتضن طفلها وتلعب معه هي وجميع إخوتها إلى أن يحين موعد نومه فتأخذه والدتها لتهتم به.

وفي إحدى الليالي وبينما كانت العائلة مجتمعة في غرفة الجلوس دخلت إيناس وقالت: علاء يقول إن علينا أنا وسماح أن ننهي المدرسة ونكمل تعليمنا الجامعي.

نظر إليها علاء باستغراب وقال: أنا الذي قلت ذلك؟!

إيناس: سامحني يا أخي، أنا استخدمت اسمك حتى يهتم والدي بالفكرة.

نظر الأب إلى إيناس وقال: لا يا إيناس، بإمكانك أن تقترحي أي فكرة، فأنا لا أنسى أنك أنت من أعاد البسمة على وجه سماح، وأعدك بأن تكملي تعليمك أنت وأخواتك، وبأن لا أسمح لأي منكن أن تتزوج



قبل أن تكبر وتتعلم وتعتمد على نفسها. أما عمران فهو ابننا الذي سنهتم به جميعاً.

نظرت الوالدة إلى زوجها وقالت: هذا ما كنت أريد أن أقوله يا زوجي. أنا وأنت مسؤولان عن بناتنا وأولادنا وعلينا أن نتذكّر دائماً بأن زمانهم يختلف عن زماننا.

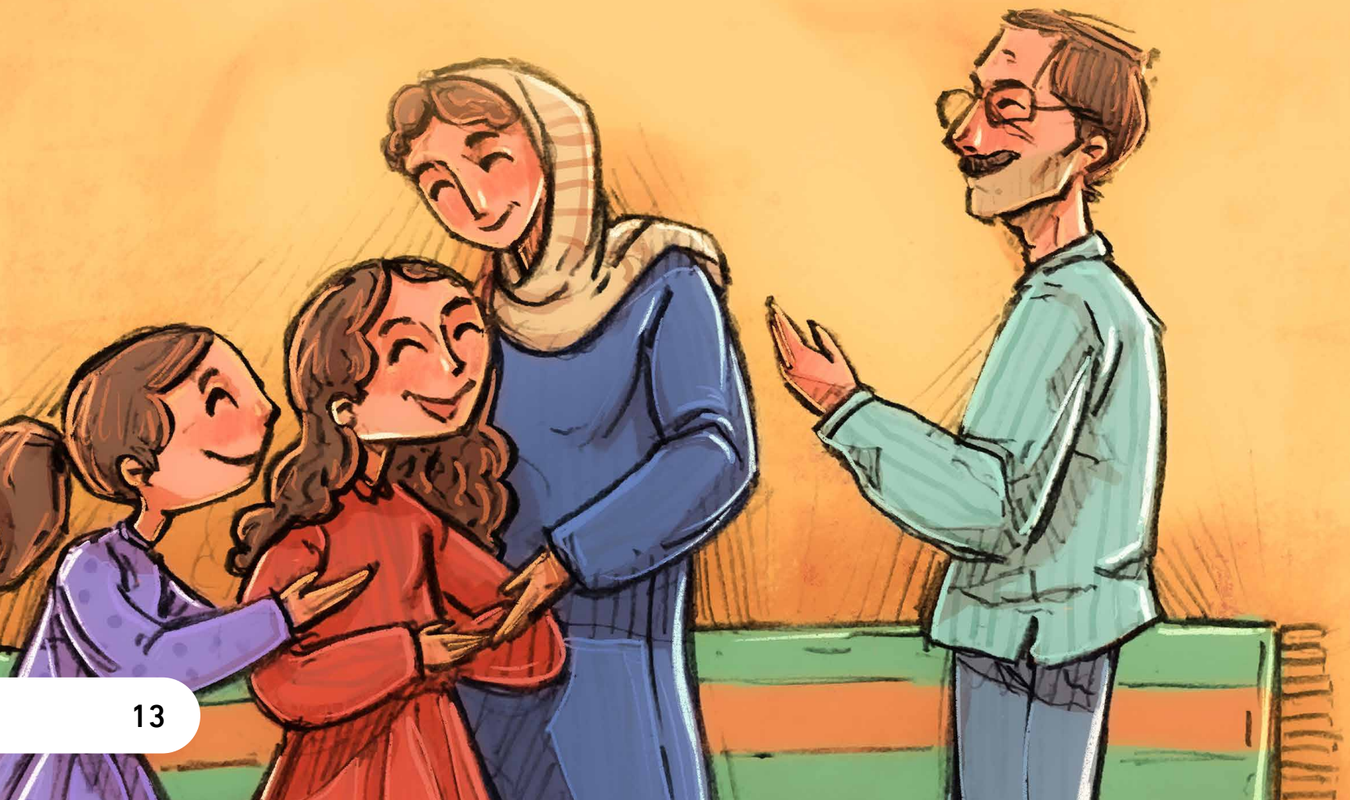

مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre


**Main Office المكتب الرئيسي**
القدس، ضاحية البريد
عمارة الحرباوي، الطابق الأول
Jerusalem, Dahiyat Al-Bareed,
Al-Hirbawi Building, 1st floor
director@wsc-pal.org
+972 2 234 8848

**Ramallah Office مكتب رام الله**
عمارة البنك العربي،فرع البلد
رام الله التحتا، الطابق الثالث
Ramallah Al-Tahta,
Arab Bank Building, 3rd floor
accountant@wsc-pal.org
+970 2 295 1351

**Nablus Office مكتب نابلس**
نابلس، شارع البساتين
مجمع البساتين التجاري، ط6
Nablus, Al-Basateen Street
Al-Basateen Building, 6th floor
north@wsc-pal.org
+970 9 2375545

**Hebron Office مكتب الخليل**
مجمع الرشاد التجاري، الطابق الخامس
Al- Rashad Ttrade Centre, 5th floor
south@wsc-pal.org
+970 2 229 4007

wsc-pal.org WscPal

مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية